المحاضرة رقم (2): مفهوم النص

1- النص لغة:

تدور معاني كلمة" نص" في مادة (ن ص ص) حول المدلولات التالية:

" النص: رفعك الشيء، ونصّ الحديث ينصّ نصّا: رفعه،وكل ما أظهر فقد نصّ، نصّت الضبية جيدها (عنقها): رفعته، ووضع على المنصة: أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور، النص: أصله منتهى الأشياء، ومنه قيل نصصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء،حين تستخرج كلّ ماعنده ، نصّ القرآن ونص السنّة: مادلّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام، المنصّة: ماتظهر عليه العروس لتُرى، وهي تنتصّ عليها لترى بين النساء، نصصت المتاع: جعلت بعضه على بعض"[1].

انطلاقا من هذا التعريف اللغوي لابن منظور ، يدل النص على الرفع، الإظهار، أقصى الشيء ومنتهاه، ضم الشيء بعضه إلى بعض، الأحكام الظاهرة من نص القرآن ونصّ السنّة.

أمّا في المعاجم الغربية فيقابل النص مصطلح "text" بالانجليزية وtexte بالفرنسية، مأخوذ من اللفظ اليوناني textus ويعني: النسيج أو سياج مظفّرة، وهو من الفعلtextere بمعنى : نسج ، وأمثلته الرسالة والمقالة، الرواية ...إلخ، أي هو نسيج لفظي أو كتابي في شكل جمل وفقرات مترابطة ومتّسقة ومنسجمة[2].

2- النص اصطلاحا:

أ- النص عند العرب القدامى:

لم يهتم العرب القدامى بلفظ النص، سوى علماء الأصول، الذين أولوه عنايتهم، وارتبط عندهم بوضوح المعنى، وعليه فالنص عندهم هو" الواضح وضوحا بحيث لا يحتمل سوى معنى واحدا"[3].

لقد تطرّق الشافعي لمفهوم النص في نظريته عن البيان، واعتبر النص ما أتى الكتاب على غاية البيان فيه، أي على غاية الوضوح فيه، فلم يحتج مع التنزيل فيه إلى غيره، حيث نجد فيه زيادة وضوح، ويرفع بيانه إلى أقصى درجة، لذلك عُرّف بأنّه" ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلّم، وهو

سوق الكلام لأجل ذلك المعنى (...) والنص مالا يحتمل إلاّ معنى واحدا، وقيل ما لا يحتمل التأويل"[4].

غير النص قسمان " أحدهما يقبل التأويل وهو من النص المرادف للظاهر، والثاني لايقبل التأويل وهو النص الصريح كلفظ خمسة فهو لا يقبل الأربعة أو الستة"[5].

ب- <u>النص عند الغرب:</u>

ب-1: <u>النص عند رقية حسن وهاليداي</u>: halliday and ruquaya hassan.

انطلاقا من كتابهما cohesion in english عام 1976، الذي يعدّ المرجع الأساسي لجميع الباحثين العرب في لسانيات النص. حيث وضعا تعريفات للنص،نسوق بعضا منها:

- النص هو" كلّ جملة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها شريطة أن تكون وحدة متكاملة"
- " نحن نستطيع تحديد النص بطريقة مبسّطة بالقول إنّه اللغة الوظيفية ويعني اللغة التي تؤدّي بعض الوظائف في بعض السياقات"
- " النص يمكن أن يكون له طول، لأنّه ليس سلسلة قياسية من الوحدات النحوية، فبعض النصوص تتشابه في الحقيقة من حيث أنّها يمكن أن تكون أقلّ من جملة في التركيب النحوي من التحذيرات والعناوين والإعلانات".

إنّ النصّ بناء على هذه التعريفات هو، وحدة دلالية تامة، مكتوب أو منطوق، قصير أو طويل (كلمة، جملة، امتداد من الجمل)، تحكمه مجموعة من الروابط الشكلية والدلالية (الاتساق والانسجام)، يؤدى في سياق ما.

ب-2: <u>النص عند هلمسلف:</u>

" هو ملفوظ مهما كان منطوقا أو مكتوبا، طويلا أو موجزا، قديما أو جديدا،، فكلمة "قف" هي نصّ مثله مثل رواية طويلة، فكلّ مادة لسانية تشكّل نصّا قابلا للتحليل إلى صفات هي نفسها قابلة للتجزئة إلى أقسام وهكذا إلى أن تنتهي لإمكانات التقيسيم"

فالنص حسب هلمسلف هو المجال الذي تتحقق فيه اللغة بأنظمتها المختلفة الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.

ب-3: النص عند برينكر:

النص هو" التسجيل الحرفي للحديث التواصلي"

يركّز هذا التعريف على الوظيفة الاتصالية للنصوص، وعلى كتابية النصوص، كما يتحدّث أيضا عن طول النص وقصره فيضرب المثال عن النصوص الطويلة بالتعابير الإخبارية والقصائد ، والنصوص القصيرة بإشارات التحذير.

ب-4: النص عند جوليا كريستيفا: Jolia kristiva

" النص تركيب من عدّة نصوص، أي تناص intertextuality وعملية استبدال من نصوص أخرى ، فالنص هو جهاز عبر لغوي ، يعيد توزيع نظام اللغة بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، مشيرا إلى بيانات مباشرة تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة أو المتزامنة معها، والنص نتيجة لذلك عملية إنتاجية".

انطلاقا من هذا التعريف فالنص هو إعادة صياغة وتركيب لقراءات وأفكار سابقة أو متزامنة و" تداخل نص حاضر مع نصوص غائبة، والنص الغائب هو الذي تعيد النصوص كتابته وقراءته، أي مجموعة النصوص المستترة التي يحتويها النص الحاضر وتعمل بشكل باطني عضوي على تحقيق هذا النص وتشكّل دلالته"[6].

عُرف مصطلح التناص عند باخين بالحوارية، ولديه إرهاصات في التراث العربي تحت مصطلحات كثيرة مثل: السرقات الأدبية، الانتحال، الاقتباس ، التضمين.

ب-5:النص عند برينكرBrinker:

النص " تتابع متماسك من علامات لغوية"، بمعنى النص سلسلة من الوحدات المترابطة، المتتابعة و المتسقة والمنسجمة وفق نظام معين.

ب-6 : النص عند آلان دي بوجراند ودرسلر A-Di bougrand.dressler :

" النص حدث تواصلي، يلزم لكونه نصّا أن تتوفّر فيه سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنها هذا الوصف، إذا تخلّف واحد من هذه المعايير وهي السبك والبك والقصد والقبول والإخبارية أو الإعلام والمقامية والتناص"

3- النص في النقد الأدبي (تودورف تزفيطان ورولان بارت):

كانت تعريفات النقاد للنص في بدايتها تنطلق من الفكر البنيوي، والسبب يعود إلى سيطرة البنيوية على أغلب التنظيرات المتعلّقة بالنص في بداية الاهتمام به، سنقف هنا على الناقدين تودوروف تزفيطان ورولان بارث لنرى مدى تأثير البنيوية في تعريفهم للنص:

أ-1:تودوروف تزفيطان:

ينطلق من الفكر البنيوي في تعريف النص، حيث يعرّفه في" القاموس الموسوعي لعلوم اللغة" بقوله:

" تقف الألسنية في بحثها على دراسة الجملة، لكنّ مفهوم النص لايقف على نفس المستوى، الذي تقف عليه مفهوم مفهوم الجملة أو التركيب، وكذلك هومتميّز عن الفقرة والتي هي وحدة منظّمة من الجمل"

ويقول:

" إنّ النصّ عندنا هو كلام يحيل على لغة ورسالة تحيل على نسق و إنجاز يحيل على كفاية".

كما يرى أنّ " النص يمكن أن يكون جملة ويمكن أن يكون كتابا بكامله، وأنّ تعريف النص يقوم أساسا على استقلاليته وانغلاقه"

وعليه فالنص حسب تودوروف قد يكون جملة واحدة ، وقد يكون رواية كاملة أو قصيدة مطوّلة، يتحدّد بانغلاقه واستقلاليته.

أ-2: النص عند رولان بارث:

عرّف بارث النص في أوائل الستينيات في كتاب " نظرية النص" بأنّه " السطح الظاهري لنسيج الكلمات المستعملة والموظفة بشكل يفرض معنى ثابتا

ووحيدا غلى حدّ بعيد، وهذا السطح قابل للإدراك بصريا من خلال عملية الكتابة، التي تجعل منه موضوعا مؤسّسيا، يتّصل تاريخيا بالقانون والدين والأدب".

انطلق بارث في تعريفه للنص هنا من توجّهه البنيوي، فركّز على الناحية الشكلية (السطح الظاهري)، واعتبر النص نسيجا من الكلمات و الجمل المستعملة وفق نظام محدّد، مجسّدة من خلال الكتابة، تُدرس وفق نسق مغلق، بعيدا عن السياقات الخارجية.

ثمّ عرف النصّ مرّة ثانية في السبعينيات، لكن بتوجّه جديد، كونه انتقل من تفكيره البنيوي المحايث للنص،إلى التفكير السيميائي، يقول:

" النص هو نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء، وأعني من اللغات الثقافية السابقة او المعاصرة التي تخترقه بكامله"[7]

يبدو من هذا التعريف أنّ بارث قد تأثر بفكرة التناص لجوليا كريستيفا، وهو ما يؤكّده في كتابه لذّة النص حين قال:

" النص لا ينشأ من فراغ، ولا يظهر في فراغ (...) إنّه يظهر في عالم مليء بالنصوص الأخرىن ومن ثمّة فإنّه يحاول الحلول محلّ هذه النصوص أو إزاحتها من مكانها"[8].

فالنص لايبدأ من العدم، بل هو إعادة إنتاج نصوص سابقة ، و لا يعدّ نسقا مغلقا، بل متجدّد ،مفتوح على قراءات مختلفة،ويكون القارئ مشاركا في إنتاجيته لامستهلكا فقط.

4- <u>بين النص والخطاب:</u>

هناك من الباحثين من يرادف لفظ الخطاب discours بالنص texte باعتبار

"كلاهما وحدة لغوية تتعدّى حدود الجملة"[9]، إضافة إلى كونهما ظاهرة ثقافية، يشتركان في الوظيفة الإخبارية والتواصلية.

لكن يمكن التمييز بينهما في بعض النقاط المختلفة بينهما، حيث يرتبط الخطاب بالتلفّظ والسياق التواصلي، ويتميّز النص بكونه مجرّدا من السياق بشكل كلّي، وقد ميّز ميشال آدام M- Adam بينهما بهذا الشكل الرياضي:

الخطاب= النص + ظروف الإنتاج

النص= الخطاب- ظروف الإنتاج[10].

فالخطاب ملفوظ يتميّز بخاصيات نصّية،لكنّه يتميّز أساسا بوصفه فعلا خطابيا، أُنجز في وضعية معيّنة (مشاركون، مؤسسات، موضع، زمان)، أمّا النص فموضوع مجرّد عن نزع السياق عن الوضع المحسوس[11].وبالتالي:

الخطاب= ملفوظ + ظروف خارج لسانية

النص= ملفوظ لساني- السياق.

فإذا كان النص بناء لغويا مجرّدا من الظروف الساقية، فإنّ الخطاب له علاقة وثيقة بالإنجاز والكلام التلفّظي.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مادة (ن ص ص)

[2] جميل حمداوي : محاضرات في لسانيات النص، مكتبة المثقف،almothaqaf.com ،ط1، 2015،ص9.

[3] عبد الكريم جمعان: إشكالات النص- دراسة لسانية نصية-، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاءن المغرب، ط1، 2009، ص26.

[4] أخمد عبد الغفار: التصوّر اللغوي عند الأصوليين، ص146

[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[6] محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1992، ص121.

[7] رولان بارث : درس السيميولوجيا،ص63.

[8] صبري حافظ: التناص وإشاريات العمل الادبي، ص11.

[9] موسوعة اللغويات العالمية

[10] جميل حمداوي: محاضرات في لسانيات النص،ص13.

[11] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.